مقدمة

تواصل عطاء الشاعر العربى إبداعًا وفكرًا، تجربة وتعبيرًا، تقريرًا وتصويرًا، فلم يقف عند حد الملكة أو الإلهام، بقدر ما أدركه من مادة الصقل المعرفى والإلمام بالمفاهيم النقدية، لاسيما فى عصر نشطت فيه حركة الصراع بين النقاد والشعراء بقدر صراعاتهم ـ أساسًا ـ فى مسار حركة الفكر العباسى بوجه عام.

ولم يكن من قبيل المصادفة أن يزاحم كبار الشعراء مثلاً المؤرخين والنقاد فيما جنح إليه بعضهم من إعداد مصنفات على طرائق الرواة، على غرار ما صنفه أبو تمام ـ مثلاً ـ فى حماسته ووحشياته، وما جمعه من نقائض جرير والفرزدق، وهو المنهج الذى سار عليه البحترى فى الحماسة، كما سار عليه ابن المعتز مؤلفًا وناقدًا تاركًا أحد عشر كتابًا بين الطبقات والتأريخ، إلى جانب المزدوجة التاريخية التى سبقه إلى إبداع مثلها على بن الجهم.

وهكذا بدا مسار شعراء العصور العباسية قابلاً لتلك الازدواجية بين النظرية والتطبيق، بما يستوجب إعادة قراءة إبداع الأعلام من هذا المنظور الذى تتكشف فيه تقاطعات عطائهم الفنى من خلال طرح النظرية النقدية تارة بين تقاريرهم وصورهم، وأخرى عبر حواراتهم ومساجلاتهم ومطارحاتهم الفنية.

ولعل فى هذا النمط من القراءة ما يكشف لنا الأبعاد الفكرية المؤصلة لثقافات أولئك الأعلام، لاسيما حين يزدحم العصر بما دار حولهم من موازنات أو خصومات، أو وساطات ظَلت دالة ـ بطبيعتها ـ على مستوى الحراك فى الحياة الأدبية مع زحام المعترك الجدلى فى عالم الفكر والسياسة والإبداع فى آن .. ولعل

ساحة الإبداع قد اتسعت إلى قبول كل تلك الصراعات بين قبول ورفض، بين إملاءات وتمرد، أو بين مواقف بدت متناقضة بين الشاعر ذاته مبدعًا وناقدًا ومفكرًا ومؤرخًا اتساقًا مع روح المرحلة، وتناغمًا مع طبائعها النوعية.

ثم يظل هذا النمط القرائى مدخلاً إلى محاولة استجلاء الظواهر فى الجمع بين الذاتية والموضوعية، وكشف مستويات التلاقى أو التنافر بين مدارس الإبداع على ما بينها من التواصل والتلاقى حتى فى زحام الصراع والمشاكسات، فلعل فى هذا الكشف ما يعكس صورة موازية لموسوعية الفكر التى درج عليها كبار كتاب العصر على طريقة الجاحظ والتوحيدى، وكذا كان كبار المفكرين الأعلام من لدن ابن سينا والكندى والفارابى وغيرهم من شوامخ العلم وقادة الفكر والمعرفة.

انطلاقًا من عصر التخصص العلمى والموسوعية، واحترام الوحدة والتنوع، وذيوع الاختلاف والمعارك يكشف هذا الجزء على مستوى التعامل مع الأداة ـ تنظيرًا وتطبيقًا ـ من واقع علاقتها بالمواهب والملكات والتجارب الخاصة للشعراء دون تجاهل للقاسم المشترك فيما بينهم، وربما بسبب من عبقرية اللغة التى منحتهم مفاتيح أسرارها وكنوزها التصويرية بلا حدود.

والله ـ سبحانه ـ ولى التوفيق.

د. عبدالله التطاوي

القاهرة ٢٠٠٦م